وخلافا للمألوف في رسوم اطفال البقعة ، فان بعض الرسوم للحرب والدبابات او الطائرات كانت مجالا للزخرفة ، كما هو حال صورة « دبابة » لموسى خليل (٨ سنوات) ، « طائرة » لعمر محمد (٧ سنوات) . اما الطفل يعقوب محمد (١٣ سنة)، الذي تميز بكثرة انتاجه وتباين موضوعاته وتعددها ، عوضا عن ان رسومه تتميز بطابع شخصي مميز من عدة اوجه ، ويهمنا هنا ان نشير الى احداها ، وهو استخدامه للون الزهري ، فقد تعود ان يصبغ خلفية الصورة او الارضية بهذا اللون ، الذي نفترض ان انتقاءه له والاصرار عليه ليس تعسفيا فقد ارتبطت رسومه بدلالات بيئته باكثر من ناحية ، « فهو من اسرة تنتمي الى عرب بئر السبع ، المنطقة التي تتميز بطبيعة صحراوية». فهو ، باصراره على صبغ الارض باللون الزهري ، يدعونا الى الاعتقاد الى ان فكرته عن الارض وخبرته بالامتداد الصحراوي جعلته ينتقي بصورة واعية لونا صعبا يمتاز بدفئه وحرارته ، ليعبر رمزيا عن هذه الخبرة ، في الوقت الذي يرفض فيه استخدام الوان واقعية كالاصفر الاوكر او الترابي او البني القهواتي ، وهي تلك التي يمكننا رؤيتها بصريا في رمال الصحراء او لون الارض .

ملاحظات لونية عامة : ١) يلجأ الطفل في مراحل مبكرة الى التلوين الرمزي ، بصبغ اطراف الاشكال التي يرسمها للدلالة على لونها ، دون ان يتم تلوينها ، كطلاء رأس الورقة العليا بالازرق دلالة على السماء وترك باقي المساحة بيضاء . ٢) يبدو ان الاناث من اطفال البقعة يتمتعن بحس لوني وزخرفي اكثر مما هو نحسو العناصر التشكيلية الاخرى . وبصورة عامة يميل الاطفال ذكورا واناثا، في مرحلة متأخرة نحو الزخرفة ونحو رسم التفاصيل وتلوينها . ٣) تظهر الموضوعات التالية استجابة نحو التلوين : — الزهور ، الطيور ، الخيم ، الريف والقرية الفلسطينية ، الفواكه ، المساجد ، ملابس الفدائيين وملابس النساء . كما ان موضوع القتال يستجيب لميول الذكور في التلوين ، ويلاحظ ذلك في رسوم مصطفى حسين (١١ سنة) ، حيث تبدو « البرقشة » في ملابس الفدائيين المجال لاستخدامات لونية متعددة ، كذلك الحال مع لون الدبابات والارض والجبال . ٤) اظهرت التجارب الاولى للاطفال عدم وجود خبرات لونية عندهم ، يبدو ذلك من خلال عدم ادراكهم لطبيعة العلاقات اللونية ، فكانت تستخدم بضعة الوان باهتة على خلفية بيضاء (لون الورق) غير ان استمرارهم في الرسم أدى الى استخدامات جيدة أظهرت حسا عفويا بعلاقات الالوان ، وتمكنت مجموعة من الرسوم من تحقيق نتائج طيبة في هذا المجال ، حيث بدا من خلالها ادراكهم لطبيعة المادة وليونتها وامكانية خلق شرائب ونتوءات لونية أضفت على رسومهم ملمسا بارزا ، مثلما أظهرت تنظيمات عفوية لعلاقة الالوان القاتمة مع الالوان الفاتحة وايقاعات وتنظيمات لونية خاصة . ٥) استخدام التنقيط : ثمة ظاهرة ملموسة بوجه عام عند اطفال البقعة ، وهي استعمال النقطة بلون واحد او اكثر في التخلص من الفراغ ، وهذا الاستعمال للنقطة يتضمن قيمة هامة في رسوم الاطفال ، اذ انها تشكل حلا ما لمشكلة الفراغ التي يواجهها الطفل بصعوبة بالغة ، كما ان النقطة بحد ذاتها قيمة جمالية هامة ، خاصة اذا فرشت على النحو الذي يفعله اطفال البقعة في ارضية الرسم ، اذ تكسب صورهم قيمة اشعاعية كبيرة وحيوية بالغة ، وجدنا على سبيل المثال مدرسة فنية كاملة تلجأ اليها ، كما هو الحال مع « الترقيميين او التنقيطيين » . وبوسعي ان اتحدث عن الكيفية التي جرى بها اللجوء الى التنقيط في احد الصفوف، غير اني لا استطيع تفسير تعميمها على النطاق الذي نلاحظه في مجموعة كبيرة من الرسوم ، فقد حدث ان تمت هذه العملية بصورة ايحائية من قبل طفل بدأ بتنقيط ورسم نقط على صفحة الورقة ، فأحدث وقع التنقيط على الخشب ايقاعا معينا استجاب له بقية الاطفال بصورة تلقائية ، وانتقلت هذه « العدوى » الى البقية ويلاحظ ان هذه الظاهرة تشمل الاطفال الذين ما زالوا في مراحل نمو اولية وتتقلص تدريجيا مع تطور قدراتهم العامة . وربما ، يكون لخبرات الاطفال في المخيم ، مع ذرات التراب والغبار ، التي هي نقط صغيرة ، أساسا لحل مشكلة الفراغ في رسومهم بواسطة التنقيط . ٦) رغم انه لا يمكننا الحديث عن الوان « مفضلة » عند اطفال البقعة ، لان اساس هذا التفضيل لم يكن متوفرا دائما ، اذ كثيرا ما كانت الالوان قليلة ومحدودة بحيث لا تسمح لهم بالاختيار . غير انه يمكن ان نسجل ملاحظة او اثنتين على تأثيرات اجتماعية بصدد اللون . ففي احد الصفوف ، انهمكت طفلة في رسم امرأة ، وقالت بشيء من الفرح الطفولي سألون فستان